ISSN : 2335-187X : ردمد

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة بشار
مخبر الدراسات الصحراوية

مجلة دراسات

دورية أكاديمية محكمة يصدرها مخبر الدراسات الصحراوية
تعني بالدرسات والبحوث العلمية في اللغة و الأدب والعلوم الانسانية والإجتماعية

جـــوان 2017
رقم 11

مجلة دراسات DIRASSAT

N° 11

ISSN : 2335-187X : ردمد

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université de Béchar
Laboratoire des Etudes Sahariennes

DIRASSAT

Traité des étude et recherches scientifique, des langues
et de la littérature et des sciences humaines et sociologiques

JUIN 2017
N° 11

دراسات

مجلة دورية أكاديمية محكمة، تهتم بنشر الأبحاث العلمية المتعلقة باللغة والآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية

العدد الحادي عشر

جوان 2017

ردمد: ISSN:2335-187X

رقم الإيداع القانوني : 2012-3506

جامعة طاهري محمد بشار

الجزائر

الرئيس الشرفي للمجلة

أ.د. عباسي بوجمعة (مدير جامعة بشار)

مدير المجلة:

د.بن دحان الطيب (رئيس مخبر الدراسات الصحراوية)

رئيس التحرير:

سعاد قصار

أعضاء هيئة التحرير:

د. خالدي سعاد أ.مكي داود قويدر

سكرتير التحرير:

إيمان بن زايد

أعضاء اللجنة العلمية:

أ.د.حسين بوحسون	أ.د.لحسن كرومي	أ.د. مبروك كواري	أ.د.محمد تحريشي
أ.د. محمد بن حمو	أ.د. ابراهيم عبد النور	د. بركة بوشيبة	د.طيب بن دحان
د.محمد بن عمارة	د.عبد القادر نبو	د.محمد برشان	د.الحاج عبو شرفاوي
د.عبد الحفيظ بن قطاف	د.عبد الحفيظ تحريشي	د.عبد الرحمن مزيان	د.كمال رقيق
د. عبد الكريم سعودي	د. محمد الكبير فقيقي	د. ميلود مهداني	د.محمد العرابي
د.عبد الرحمن بعثمان	د.شريف بن دحان	د. سعاد خالدي	أ.قويدر مكي داود
أ.اسماعيل يحياوي	أ.شكيب إلياس ريغي		

الهيئة الاستشارية

أ.د. حسن لشكر،جامعة ابن الطفيل، القنيطرة، المغرب	أ.د. الدائم ربي لحبيب، أكاديمية التربية والتكوين بالجديدة، المغرب
د. بن يحي أم كلثوم، جامعة الملك خالد أبها، السعودية	د.زويد بن معيوض الزايدي، جامعة وزارة التعليم بالسعودية
د. عبدالله عمر الخطيب، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن	د.فاطمة برجكاني، جامعة الخوارزمي، طهران، إيران
أ.د. زروقي عبد القادر، تيارت، الجزائر	أ.د. بوردبم عبد الحفيظ، عين تيموشنت، الجزائر
د.الخياري حياة، جامعة قابس، تونس	د. صالح بوسليم، غرداية
د. جمال ولد الخليل، جامعة نواكشوط	د. محمد الأمين ولد أن، نواكشوط
د.علي خلف العبيدي،جامعة ديالى، العراق	إبراهيم داوود الجلفة، الجزائر
د. عبد القادر بن سا لم	أ.د. بورايو عبد الحميد، الجزائر

قواعد النشر:

ترحب مجلة دراسات بكل إسهامات الأساتذة والباحثين، ويشترط في البحوث والدراسات المرشحة للنشر بالمجلة ما يأتي:

1.يشترط في المقالة المقدمة للنشر الحداثة والأصالة والمنهجية العلمية، و لا تقبل البحوث التي تكون جزءا من رسالة الماجستير أو الدكتوراه، أو كتاب منشور.

2.إذا كانت المادة المقدمة للنشر مداخلة في أحد الملتقيات أو المنتديات العلمية فإنه يتعين على الباحث أن يذكر تاريخ انعقاد الملتقى أو المنتدى وكذا العنوان الأصلي للمداخلة.

3. يرفق البحث بسيرة ذاتية مختصرة (يتم فيها تحديد المعلومات المتعلقة بالجامعة المنتمي إليها والتخصص والرتبة العلمية والعنوان البريدي ورقم الهاتف والعنوان الالكتروني)والجامعة المسجّل فيها بالنسبة للباحثين في طور الدكتوراه. ولضمان السرية الكاملة لعملية التحكيم، يجب عدم ذكر اسم الباحث، أو الباحثين في متن البحث، أو أية إشارة تكشف عن هويتهم.

4. تعبئة نموذج التعهد الذي تعتمده المجلة و المتوفر على موقع المجلة ،يتعهد فيه الباحث بعدم نشر بحثه من قبل ولم يقدم للنشر إلى أي مجلة أخرى.

5. لغة النشر في المجلة هي العربية، الفرنسية و الإنجليزية.

6. يتضمن البحث ملخصين، الأول بلغة المقال والثاني باللغة الإنجليزية وجوبا إذا كان البحث باللغتين العربية و الفرنسية أما إذا كان البحث باللغة الإنجليزية فيجب أن يكون الملخص الثاني باللغة العربية مع ضرورة إدراج الكلمات المفتاحية للبحث.

7. يحق للمجلة إجراء بعض التعديلات الشكلية الضرورية على المادة المقدمة للنشر دون المساس بمضمونها.

8.يشترط في المقال أن لا يزيد عن خمسة عشر صفحة من حجم A4 (21 x 29.7) سم، بما في ذلك قائمة المراجع والجداول والأشكال والصور.

9. بالنسبة لإعدادات الصفحة تكون حواف الصفحة (أعلى 2سم) . (أسفل 2سم) .(اليمين 1.5 سم) . (اليسار 1.5 سم) ، تباعد بين الأسطر 1 سم. و مابين السطور في الفقرات (Interligne)يكون (simple)

10. إدراج الهوامش و الإحالات نهاية كل صفحة من البحث بطريقة ألية (note de fin)

11. يرجى الإلتزام بالقالب النموذجي الخاص بتصميم المقال(النموذج متوفر على موقع المجلة الإلكتروني)

12. تخضع المقالات المقدمة للنشر للتقويم من قبل محكمين متخصصين، مع مراعاة السرية في عملية التحكيم.

13. للمجلة حق رفض نشر البحث (المقال)، أو طلب تعديله بناءً على تقارير ُ محكّمين.

14. يتم نشر البحث بعد أن تتم الموافقة عليه بصفة نهائية من قبل الخبراء المحكمين وبعد موافقة هيئة التحرير.

15. يتم إعلام الباحث بقبول بحثه للنشر في العدد المحدد لنشره به.

16.ترتب البحوث عند النشر في عدد المجلة وفق لاعتبارات فنية، لامكان لأي اعتبارات غير علمية في إجراءات النشر.

17. المجلة غير ملزمة بإعلام الباحث برفض مقاله، أو بتقديم مبررات لذلك، كما أنها غير ملزمة برد المقالات غير المقبولة للنشر.

18. يحصل الباحث على نسخة واحدة من العدد الذي ينشر فيه و مستل من البحث.

19. ما تنشره المجلة يعبر عن رأي الباحث، ولا يعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

20. توجه جميع البحوث والمقالات باسم رئيس تحرير مجلة دراسات عبر العنوان الآتي: ص ب417 جامعة طاهري محمد، شارع الإستقلال، كلية الآداب و اللغات . ولاية بشار 08000 . الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

يتم التواصل بين الباحثين والمجلة عبر البريد الإلكتروني للمجلة : lesa.ub@gmail.com

Publishing terms and conditions:

Dirassat journal accepts all researchers' contributions of, and it is important that the content of the research/ article follows:

1. The article submitted for publication must be modern, original and methodical, and it is not accepted for publication in any other journal or published book.
2. If the article has been presented in a seminar paper or scientific forums, the date of the seminar or the Forum as well as the original title of the intervention should be mentioned.
3. Attach a brief biography to the article (and the name of the institution, the field of research, the title, telephone number and e-mail address (the university where the researchers has registered for PhD).
4. To fulfil the commitment proposed by the journal and available on the journal's website template, in which the researcher agrees not to publish his research by and has not submitted a publication elsewhere.
5. Languages of publication in the journal are Arabic, French and English.
6. The abstract must be in two languages: Arabic & English, French & English, and English & Arabic.
7. The journal has the right to make certain necessary modifications to the article subject to publication without prejudice to their content.
8. The article does not exceed fifteen A4 pages (21 x 29.7 cm), including the list of references, tables, figures and images.
9. For the layout, the margins are (the top of 2 cm). (bottom of 2 cm). (right 1.5 cm). (left 1.5 cm), interline spacing of 1 cm, and paragraph spacing is (simple).
10. Insert the margins and cross-references of each page of the article in an automatic manner.
11. The template conform to the article is available on the journal's website.
12. Articles submitted for publication depend on specialist panels, with the confidentiality of the evaluation process.
13. The journal has the right to refuse to publish the articles or to modify them according to the reports of the reviewers.
14. The article will be published after the approved of the expert reviewers and the editorial committee.
15. The researcher must be informed of the acceptance of his/her research for publication in the issue for publication.
16. The article is published in the issue of the journal according to technical procedures.
17. The journal does not have to inform the researcher/ to justify the rejection of an article, or nor are the unaccepted articles returned to their authors.
18. The researcher obtains a hard copy of the published number and an electronic copy of his/her research.
19. What the journal publishes expresses the opinion of the researcher and does not necessarily reflect the journal opinion.
20. All the articles are sent to the editor in chief of the Dirassat Journal at the following address: BP 417 Tahri Mohamed University, street of independence, Faculty of Letters and Languages - Wilaya de Béchar 08000 - Algeria. The contact between the researchers & the journal e-mail contact: lesa.ub@gmail.com

Les règles de publication:

La revue Dirassat accepte toutes les contributions des enseignants et des chercheurs, et il importe que la recherche et les articles contiennent comme suit:

1. L'article soumis à la publication qu'il soit moderne, original ou méthodique. Les recherches qui font partie de la thèse de doctorat ou un livre publié sont refusés.

2. Si l'article a été présenté dans une communication dans un séminaire ou des forums scientifiques, il faut mentionner la date du séminaire ou du Forum ainsi que le titre original de l'intervention.

3. Joindre à l'article une brève biographie et l'identification des renseignements relatifs à l'université d'appartenance et la spécialité ainsi que le grade scientifique, adresse postale, numéro de téléphone et adresse e-mail (enregistrée dans laquelle l'université pour les chercheurs en phase de doctorat.

4. Remplir l'engagement proposé par la revue et disponible sur le modèle de site Web du revue, dans lequel le chercheur engage à ne pas publier ses recherches par et n'a pas présenté une publication ailleurs.

5. Langue de publication dans la revue est l'arabe, le français et l'anglais.

6. l'article comprend un résumé en anglais, si l'article est écrit en arabe et en français. Si la recherche en anglais devrait être le second résumé en arabe avec la nécessité d'inclure des mots-clés à l'article.

7. la revue a le droit de faire certaines modifications nécessaires de l'article soumis à la publication sans préjudice de leur contenu.

8. l'article ne dépasse pas quinze pages de format A4 (21 x 29,7) cm, y compris la liste des références, des tableaux, des figures et des images.

9. Pour la mise en page, les bordures (en haut de 2cm). (En bas de 2 cm). (À droite 1,5 cm). (Gauche 1,5 cm), l'espacement interlignes de 1 cm, et interlignes des paragraphes (Interligne) soit (simple).

10. Insérer les marges et les renvois de chaque page de l'article d'une manière automatique.

11. se conformer à la conception du modèle de l'article typique (Le formulaire est disponible sur le site de la revue).

12. Les articles soumis à la publication sont soumis au calendrier des jurys spécialistes, et avec la confidentialité du processus d'évaluation.

13. La revue a le droit de refuser de publier les articles ou de le modifier en fonction du rapport des jurys.

14. L'article sera publié après avoir été finalement approuvé par les experts du jury et après approbation du comité de rédaction.

15. Le chercheur doit être informé de l'acceptation de sa recherche dans le numéro pour publication.

16. L'article devrait être publié dans le numéro de la revue selon des procédures techniques.

17. La revue n'est pas obligée d'informer le chercheur du rejet de son article, ni d'en justifier le rejet, et n'est pas obligé de renvoyer des articles non acceptables pour la publication.

18. Le chercheur doit obtenir une copie du numéro publié et une copie de la recherche.

19. Ce que la revue publie exprime l'opinion du chercheur et ne reflète pas nécessairement l'opinion la revue.

20. Tous les articles sont envoyés à la rédactrice en chef de la revue Dirassat à l'adresse suivante : boite postale 417 Université Tahri Mohamed, rue l'indépendance, Faculté des lettres et des langues – Wilaya de Béchar 08000 République algérienne démocratique et populaire.

Le contact entre les chercheurs et la revue par e-mail: lesa.ub@gmail.com

كلمة رئيس المجلة

بسم الله الرحمن الرحيم و الصلاة و السلام على خير من بعثه الله رحمة للعالمين، و بعد :

ها هي مجلة دراسات التابعة لمخبر الدراسات الصحراوية بجامعة طاهري محمد بشار، تواصل مسيرتها دون انقطاع معتمدة على الدارسين النشطاء داخل الجامعة و خارجها.

و إذ يظهر هذا العدد المتميز في تركيبته الأدبية حيث يضم دراسات لغوية و نقدية حديثة و قديمة، مما يجعل المجلة تستقطب اهتمام الباحثين من خارج الوطن، إذ لا يخلو عددا من بصماتهم، الأمر الذي يحفز القائمين عليها- و نقصد طقم هيئة التحرير و الممثل في رئيسة التحرير و مساعديها- حيث يدفع بهن إلى التميز و إخراج المجلة بثوب يليق بمقامها.

هذا العدد يمتاز بوضوح الرؤية النقدية ووضوح الأسلوب، و هو ما نجده إلا في المجلات المتخصصة، و بذلك أضحت مجلة دراسات التابعة لجامعة طاهري محمد بشار تفتح المجال للدراسات النقدية، يستمتع بها القراء، و بذلك أضحت تحقق هدفها الذي نشأت من أجله، لتجمع بين الغيورين على ثقافة العربية، و الباحثين في حقل الأدب العربي على وجه الخصوص.

أخيرا نقدم الشكر لكل من ساهم في إخراج هذا العدد، و الشكر موصول إلى **أ.د.** بوجمعة عباسي رئيس الجامعة و عميد كلية الآداب و اللغات **أ.د.** مبروك كواري و غيرة هذا الأخير على لغة الضاد.

مدير مجلة دراسات/د. الطيب بن دحان

فهرس العدد الحادي عشر

- كلمة رئيس المجلة.....06
- فهرس العدد الحادي عشر.....07
1-نماذج تعبيرية في لهجة بشار ونواحيها وسبيل ترقيتها بلطف الصنعة والتأويل، (أ.د.سلامي عبد القادر)، جامعة تلمسان.....08
2- المنحى العقائدي في شعر المقاومة الجزائرية،(د.الطيب بن دحان وأ.جرو فاطمة)، جامعة طاهري محمد بشار.....13
3-القضايا النقدية عند عبدالرحمن شكري، (د.عبدالرحمن مرضي علاوي و رسل إسماعيل نعمة)، جامعة بغداد، العراق.....21
4- الدلالة الزمنية للفعل الماضي والمضارع في النص القرآني، (د.زينة قرفة)، جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج.....35
5- من خصائص الحرف العربي، (سليماني لحسن ود. أحمد بوعنيني)، جامعة طاهري محمد بشار.....48
6- التفاعل بين الأدب المغربي والمشرقي في آثار رحلة المقري، (د.فتحي محمد)، جامعة سيدي بلعباس.....57
7-الدلالة غير اللفظية عند الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت909هـ)، (د.إدريس بن خويا و أ.فاطمة برماتي)، جامعة أحمد دراية أدرار.....67
8- النَّخلة: بين الرَّمزيّة وتحوّل الدّلالة ،(د.صلاح الدين باوية)، جامعة جيجل.....78
9- التعدد اللغوي وآثاره، (أ.عمر فاسي)، جامعة طاهري محمد بشار.....90
10- المعرفة الصوفية، إشكالية القراءة ومعضلة الفهم، (أ.بوسماحة الطيب)، جامعة طاهري محمد بشار.....102
11- مستويات المكان في روايات غسان كنفاني، (أ.مالكي عائشة)، المدرسة العليا للأساتذة بشار.....108
12- مشكلات تعدد المصطلحات اللسانية وتباينها، (أ. بوشوشة إيمان و أ.د. صالح غريبي)، جامعة العربي التبسي، تبسة.....119
13- السلطة المرجعية للنظام العقدي في النقد العربي القديم،(أ.حراز العيد/ جامعة طاهري محمد بشار ود. بوشيبة بوبكر / جامعة الجلفة..... 125
14- الشهيد زيان عاشور ومحطات من جهاد منطقة الصحراء1954 1956 (أ.د.مقلاتي عبدالله)، جامعة المسيلة.....132
15- أثر البعدين البيئي والأمني في عمارة قصور واحات بشار،(د. محمد برشان)، جامعةطاهري محمد بشار.....145
16- توجهات التعليم في الجزائر بعد استعادة السيادة الوطنية،(د. أحمد تريكي)،جامعة طاهري محمد بشار.....154
17- سلطة المرأة العاملة في اتخاذ القرار داخل الأسرة، (أ.د.مصطفى عوفي / جامعة باتنة1، أ.حَديدان وفاء/جامعة عباس لغرور خنشلة).....166
18- فلسفة الحداثة عند عبد الله شريط، (د.النوي حمادي)،جامعة طاهري محمد بشار.....175
19- تجربة التجلي عند محي الدين ابن عربي، (أ.شعوفي قويدر)، جامعة طاهري محمد بشار.....191
20- The Impact of Tariff Regulations on the US Economy up to 1921, (Dr. Benketaf, Hafid), Tahri Mohamed University Bechar.....201
21- The Rise of the Afghans' National Awakening and the Achievement of their Independence (1880s-1921), (Dr. Mehdani Miloud and Dr. Ghomri Tedj), Tahri Mohamed University Bechar 207
22- Le paradigme de l'APC dans l'enseignement-apprentissage de la production écrite en 5èmeannée primaire, (Righi Chakib Ilias et Benamara Fatiha), Université TAHRI Mohamed Bechar 222
23- Analyse des erreurs en production écrite des étudiants de la première année universitaire biologie, (Belhachi Sabria et Zidani Zoheir), Université TAHRI Mohamed Bechar 232

فلسفة الحداثة عند عبد الله شريط

د. النوي حمادي/ جامعة طاهري محمد بشار

أستاذ باحث بجامعة وهران 2

الملخص:

عرفت الحداثة عدة فتوحات فلسفية وعلمية حصلت في أوروبا والمجتمعات العربية الإسلامية، التي شكّلت بدورها قطيعة ابستمولوجية مع إرهاصات الماضي الفكرية القديمة، لذا شهدت المجتمعات تحولات على مستوى واقعها المتجدد في مختلف المجالات التي ترمز لحضارة ناهضة، فالمهتم بمشكلة الحداثة في الوطن العربي والمجتمع الجزائري خصوصا سيكتشف أنها مثّلت إشكاليات فكرية لها ما يبررها في المشروع الحضاري لهذا المجتمع أو ذاك. جعلت المفكر عبد الله شريط في فكره النقدي التنويري يحاول تبيان جملة العوائق التي عثَّرت مسيرتنا الحضارية، ومنه كانت مسألة الخطاب الحداثي عند شريط حاضرة تجلت كنظرية قائمة في الفكر الفلسفي الحديث، كانت ومضة من الشعل الفلسفية التي أوقدها مفكر الجيل الناهض في مجال الفلسفة والتفكير النقدي البنّاء، وقد نالت اهتماما جادا في مختلف الدراسات الفلسفية الحديثة.

الكلمات المفتاحية:

الحداثة، التفكير الفلسفي، الخطاب الحداثي، المجتمع الجزائري.

Abstract:

Modernism did not only oversee breakthroughs in both the Western and Eastern Worlds, but it also constituted a rupture with traditional philosophical approaches. On score of that societies witnessed transformations on practically all the fields that concern emerging civilizations. Scholars whose interest focuses on modernism in the Arab World in general an Algeria in particular will soon realize that modernism has created justified intellectual challenges concerning the visions of civilization. Prof. Abdallah Sherait has constantly struggled to expound the underlying reasons behind the failure to launch. Prof. Sherait's sober and insightful ideas have been the focus of many studies.

key words : Modernism, Philosophical Thinking, Modernist discourse, Algerian society.

مقدمة:

تُعد الحداثة من المفاهيم الفلسفية القائمة في الفكر الفلسفي الحديث والمعاصر التي جاءت بثورات فلسفية وعلمية في المجتمع الأوروبي والوطن العربي وشكّلت قطيعة مع أنماط التفكير القديم، فعصر الحداثة قد يختل فيه التوازن بين الماضي والحاضر.

إن الاهتمام بمشكلة الحداثة في الوطن العربي والمجتمع الجزائري خصوصا، سيضعنا أمام عدة تساؤلات فكرية ومنهجية تجاه تحديد وصلاحية هذا المشروع الحضاري الذي يتضمن أسس وعوامل هذا التطور التحضر في شتى المجالات.

لقد تناولت كتابات فلسفية مختلفة مسألة بناء الإنسان الجزائري حداثيا، من بينها كتابات المفكر الجزائري (عبد الله شريط 2010/1921م)، وذلك وفق منهج علمي مدروس في الوقت الذي كانت فيه مسألة الحداثة من اهتمامات الفلسفة العربية، التي جعلت منها موضوعا ومشروعا فكريا، فقد انصب التفكير الفلسفي على مراعاة هذه التحولات الملازمة لها في شموليتها

وصلتها بالتراث والنزعة الإنسانية. فالحداثة كمشروع حضاري ينطوي على فلسفة جديدة، حملت معها مفاهيم متعددة في بناء هذا المجتمع أو ذاك ونهضته الحضارية.

كانت مساهمة المفكر (عبد الله شريط)في تناوله ودراسته لفكرة الحداثة شاملة ومتنوعة، مما أفرز جملة من العوائق التي عثَّرت تطورنا الحضاري، لأن فقدان قواعد وآليات الانضباط الإيديولوجي يجمد العمل ويجعله خاضعا للأمزجة والأهواء.

ومنه كانت مشكلة الحداثة الحقيقية مطروحة على مستوى الفكر الحديثوالمعاصر المتمثلة في الإنسان ذاته، التي تكمن في نقل المعرفة لا نقل الوسائل المادية، فتنمية العقل تكون قبل التكنولوجيا، وهنا تبرز عقلانية شريط المنفتحة على المجتمع العربي الإسلامي.

لذا حاولنا طرح مسألة الخطاب الحداثي الذي شيدّه (عبد الله شريط) لمعرفة مضمون الحداثة التي تجلت كنظرية قائمة في الفكر الفلسفي الغربي الحديث، المتمثلة في فلسفة كانط (1804/1724 م) الحداثية والتنويرية، الذي يعتبر نقطة تحول في تاريخ الفلسفة الحديثة، ويمثل النزعة النقدية وحمله لشعار التنوير،التي بدورها شكلّت أساسا لقناعته الفكرية، فالفرد لا يستطيع أن يعرف ذاته أو قيمته، إلا إذا ارتبط بالضمير الجماعي الذي هو الوطن، "إن الابتداع أو الإبداع موقف فلسفي ووجودي يكشف عن نزوع الإنسان الحديث إلى التعبير عن كينونته الفردية والرفض الصريح لدمج الفرد داخل أسوار الجماعة"[1].

فالمفكر(عبد الله شريط) يمكن اعتباره صاحب نظرية واعية جديرة، بأن تدرس وتنشر وتعرف للأجيال الصاعدة داخل الوطن وخارجه،وهذه ومضة من الشعل الفلسفية التي أوقدها مفكر الجيل في مجال الفلسفة، ودفعت بهم إلى الاستقرار وبناء الدولة القوية لا الضعيفة التي تعاني التبعية وضعف مستوى التنمية، أصبحت كمشروع حضاري يدعو للتعايش والتفاهم لا الصراع والتناحر، وقد نالت اهتماما جادا في مختلف الدراسات الحديثة بمختلف فروعها، ومنه يمكن طرح الإشكال التالي: هل استطاع عبد الله شريط أن يؤسس فلسفة حداثية في الجزائر؟

1/عبد الله شريط و تحليل المعطى الفكري والعملي في بناءالمشروع الحضاري:

من القضايا المعقدة التي شغلت اهتمام (عبد الله شريط) في فلسفته الاجتماعية،هي محاولة الوقوف على المعطيات الفكرية والاجتماعية التي يعيشها المجتمع العربي، وكذا انتقاء الحقيقة من الزيف وانتفاء الاعتراضات التي تحول دون وصولنا إلى الحقيقة، بحكم أننا ورثنا منهجا تطغى عليه الذاتية وتغيب فيه الموضوعية، وقد يكون ايجابيا أمام تحضرنا في اكتساب منهج علمي جديد، يتميز بالنقد الذاتي والابتعاد عن أسلوب التقليد وتمجيد الماضي."فثمة إمكانية للتطور والنمو في المجتمعات العربية "[2].

فالنهج الذي أدركه (شريط) انطلاقا من استقرائه لهذا الواقع العربي المزيف أحيانا، هو التفسير والتعليل لهذين الاتجاهين، سواء في بلاد المغرب أو المشرق العربي، واكتشاف النقائص قصد تصحيحها وإعادة بنائها، فالاتجاه الذي يميل إلى النقد الذاتي قد يكون مفرطا عند سعينا الكشف عن الحقيقة المخبوءة وإبرازها. وقد ينعكس ذلك سلبا على الكتابات والأبحاث التي نقرؤها عند مثقفينا،وهذا ما نلمسه بالتحديد في تحليل أوضاعنا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية."كأن ننهال بالنقد على عمال

الطرقات ومصالح الأشغال العامة"[3]. فقد أصبح سلاحنا في تغطية هذه النقائص وسدها بتغذية روح النقد على القائمين عليها كل في ميدانه، فهو تعبير وشعور بعدم الارتياح لمسارنا الحضاري.

غير أن هذه المسألة لها منهج مخالف في بلدان المشرق العربي،والتي تقابل بالاستحسان وعدم الانزعاج منها،كونها أمرا طبيعيا لا يستدعي القلق، فهذا الاتجاه لا يخفي طبيعة الشخص ومدى الاستجابة الواسعة، أي "التكيف السلبي" إن جاز لنا استخدام هذا المصطلح.

وما يؤكد صواب هذا الرأي نجد أن (عبد الله شريط) يرفض ذلك في أفكاره ، عندما استعان بذكر مقابلة أحد الرؤساء في بلد عربي حيث كان يشغل مديرا لمجلة "المجاهد" وهو في مهمة تتعلق بالثورة التحريرية في الجزائر، فقد ظهرعليه أنه كان صريحا في استجوابه والابتعاد عن تحكيم العاطفة في قراءة هذا الواقع المزيف، وقد أبدى استغرابه من موقف بعض المثقفين لتقبل هذه الأوضاع السائدة خلاف التقويم النقدي والشعور بالمسؤولية للمثقف في المغرب العربي.

أ/ الحداثة تعني العودة إلى العقل:

نلاحظ بوضوح أن أركون على الرغم من إعجابه بعقل الحداثة وتأثره بالإيجابيات التي أنتجتها، فهو يترك مسافة نقدية تفصله عن هذا العقل، فهو لم ينكر ما أنجزه "عقل التنوير" الذي أسس الحداثة القائمة على تمجيد العقل والتفكير العقلاني المتحرر من سيطرة المسلمات الدوغماطيقية، " ينبغي أن نقوم بنقد للحداثة وممارساتها الإيديولوجية والسلطوية، وليس فقط بنقد التراث الديني التقليدي، فالحداثة ذات وجهين: وجه تحرري إنساني، ووجه أناني نفعي"[4]، إذا أردنا التخلص من استخدام النقل وعدم الاعتراف بعمل الغير، أو الاستسلام والوثوقية التي تدفعنا إلى الاعتقاد بجبر مستبد، فإذا تقصينا الحقيقة في رصيدنا الثقافي، فالإجابة كامنة في التقاليد الفكرية الراسخة التي تميز الأدب الرفيع الممزوج بالروح العلمية والنظرة الموضوعية للواقع الاجتماعي، وهذا ظاهر عند (الجاحظ159هـ/225 هـ) في الأدب، و(ابن خلدون732هـ /808 هـ/1332م/1406 م) في علم الاجتماع في الربط بين الفكر والواقع.

ويتوسع (شريط) في طرح هذه الإشكالية من منظور فلسفي مدعما فكرته برأي الفيلسوف الألماني (هيغل1770/1831م). الذي يعتبر "الوجود الفكري هو الوجود الحقيقي"[5]. فهذا التبرير لم يكن صدفةبل نابع من تأمل فلسفي وعقلاني، والابتعاد عن التفسير الحسي المباشر،أو ما يعرف بالفكر العامي،الذي يتأثر بما هو محسوس، وقد يشكّل انحرافا أمام الحقيقة، (كل ما هو عقلي واقعي وما هو واقعي عقلي) أي الفكر أسبق من الوجود المادي، فالفلسفة الهيجيلية قائمة على التطابق بين الفكر والوجود، وهذه الفلسفة واضحة في تكوين الدول والمجتمعات، واعتبارها فكرة عقلية تحقق وجودها الفعلي عند شعب من الشعوب، وبذلك تكون قد حققت هذه الفكرة في دائرة التاريخ. "إذن فالمجتمع الذي لم يقم على أسس عقلية فهو لا يعد مجتمعا حقيقيا"[6]. فحسب (شريط) إن الوجود الاجتماعي لا يكون له معنى،إلا في إطار فكري يستمد منه معقوليته وثقافته.

وقد كانت فلسفة (ابن خلدون) أكثر دقة وموضوعية، لأن غياب العقللا يبرر فّعالية الوجود الاجتماعي، حين بذل جهدا في تحليل المجتمع العربي ذهنيا،لأنه علّل ذلك لافتقاده وحرمانه من هذا الوجود الذهني، الذي هو الوجود الحقيقي.

ومنه نستنتج مدى واقعية (ابن خلدون) في تفسير الظواهر الاجتماعية وربطها بأسبابها الواقعية، أي إدخال عنصر الفكر في الوجود الخام،وهنا يظهر التكامل بين (ابن خلدون وهيجل).

ب/ مشكلة الحقيقة في الوطن العربي:

كانت نظرة (شريط) لمشكلة الحقيقة والزيف في المجتمع العربي عميقة،لأنه وضع معالم الطريق الذي يساعدنا على حل هذه المشكلة وتقسيمها إلى ميادين ثلاثة الميدانالحضاري، والميدان السياسي،والميدان الثقافي،مبررا ذلك بأمثلة واقعية من الحياة الاجتماعية.

أما على مستوى الميدان الحضاريفالتصادم بين الحياة التقليدية التي يعيشها المجتمع والحياة العصرية،التي تتطلب مسايرة روح العصر في إمكانياته وتطلعاته الراهنة، مما انعكس على وجودنا الحضاري، وجعلنا نعيش هذا التناقض والتعارض بين أفكارنا وأعمالنا، أي وقعنا في نوع من الصراع، بين ما نعيشه في حياتنا اليومية بحيث أصبحت استجابتنا له عفوية دون وعي وتفكير، أي لم ندرسه ونتمكن منه فكريا، وواقعنا المصطنع الذي نعيشه عمليا.

لأن المشكلة حسب (شريط)كانت نتيجة الخلط بين المستوى الفكري والعلمي في المجال الحضاري، نجد (محمد أركون 2010/1928م) " في نظرته لتاريخ الأفكار، يلح على ضرورة التمييز بين لحظتين أساسيتين في تاريخ الفكر والحياة، لحظة المعقولية القروسطية، ولحظة المعقولية الحديثة"[7]، وهذا راجع إلى تأثرنا بالحضارة الغربية والتي نستمد منها معالم تفكيرنا،أي في قوالب ذهنية أوروبية لا تنطبق بشكل دقيق وواضح مع واقعنا الحضاري.

في حين لو اعتمدنا كلية على رصيدنا التاريخي وكانت لنا الإرادة في فهمه واستيعابهأي تكييفه ومستوانا الحضاري لكانت لنا القدرة على تجاوز هذه العوائق والتعثرات الثقافية والحضارية، لأننا مازلنا نعاني ازدواجية في سلوكنا وهو الجمع بين مظاهر البداوة والتمدن، وقدأَعَقَ (ابن خلدون) هذه المشكلة "التعليل الخلدوني يتمثل في شكل البداوة والحضارة، وليس في التقسيم الطبقي الاقتصادي، كما يقتضي المنهج الماركسي"[8].

إذا أردنا أن نشاطر(شريط) في هذه المسالة وتبرير ذلك بأدلة مستوحاة من حياة الأفراد ومواقفهم تجاه الحوادث المتشابكة والمعقدة أحيانا، لأنها تتم داخل محيط ثقافي متنوع ومتعدد، فالملاحظة تستدعي منا الوقوف عند بعض الظواهر الاجتماعية، كإحياء المناسبات الدينية مثلا،أو رد الفعل الذي ينتاب الفرد أثناء استجابته البسيطة التي يتلقاها من المجتمع، لأن فكرة النقد وتغيير الواقع وإعطائه مفاهيم جديدة غائبة في مجتمعاتنا العربية، وقد عبّر عن ذلك (محمد علي كبيسي)في قوله:"يمارس الرأي العام حكمه، فلكل مجموعة أخلاق خاصة "[9]، كون السلطة الاجتماعية تجعل الفرد أحيانا ملزما بهذه المظاهر والقيم التي تتناقض وفرديته، لخلق فضاء الحضارة والتحرر من أشكال الغزو الثقافي والفكري، والأطر الفكرية المفروضة من الحضارات الأجنبية، وإن كانت في الغالب لا تخدم مشروعنا الحضاري، فهي ليست نابعة من قيمنا وأفكارنا الخاصة.

فالسؤال الذي يواجهنا هو ما نصيبنا من التحضر و البداوة؟ والإجابة تتطلب منا بذل الجهد لتقصي الحقيقة من التزييف، بحكم أن تصرفاتنا لا تحكمها قناعاتنا التي يغذيها المستوى الحضاري، كأن تجد شخصا في مظهره الخارجي يبدو معاصريا ومتمدنا لكن في شعوره الشخصي يناقض ذلك، والسبب في ذلك أنه لم يستوعب واقع حياته بكيفية فّعالة بل بانفعالية وآلية خالصة.

فاليوم قد أصبنا بهذه الظاهرة و نكاد نعيشها يوميا، كالتباهي بالسيارات الفخمة والمباني الضخمة وصرف الأموال بغير عقلانية وبطريقة مهذبة، في حين نرى الياباني أو الصيني مازال متمسكا بقيمه وثقافته الأصيلة، لكن لم يمنعه ذلك أن يتحلى بروح العلم ومسايرة العصر في كل متطلباته، مما جعلنا ننبهر بسلوكه وتفكيره. "لأن الوعي الحضاري لم يكن عنده مستوردا، بل موروثا عبر أجيال وأحقاب تاريخية"[10]، فليس العيب في التقنية أو الآلة التي نستوردها، بدليل أن الوسائل المادية لا تنقصنا، لكن افتقارنا إلى العقل أو الإنسان الذي يكون متفتحا لا منغلقا. فمن الصعب الجمع بين التراث التقليدي والمستورد الأجنبي، لأنه قابل للارتقاء والتصحيح.

فمن الأخطاء التي ارتكبت في سجل مجتمعاتنا العربية هو صعوبة التوفيق بين ما هو فكري معنوي وما هو مادي عملي، والتي مازالت تعيش هذا الشكل والتفاوت الحضاري، رغم توفر الشروط المادية لذلك، من طبيعة غنية بثرواتها الظاهرة و الباطنة، وطاقات بشرية هائلة تملك من الخبرة والفطنة ما يؤهلها لذلك،غير أن سوء استغلالها وتهميش العقل بالدرجة الأولى أورثها الجمود الفكري، والتقاعس في تحقيق المشروعالحضاري.

وللمفكر الجزائري (مالك بن نبي1905/1973م) موقف في التقدم الحضاري، والتخلص من التبعية المفروضة على مجتمعات العالم الثالث، حين أرجع النهضة إلى الوجه المثلث للإنسان"الثقافة ورأس المال والعمل"[11]، وذلك متوقف على التوجيه المنهجي والعملي لاستيعاب مستوى الحضارة. فهناك دعوة لتجاوز هذا الصدام وفق بحث اجتماعي يطلع به رجال الفكر، لأن النتيجة التي جنينا ثمارها والتي عصفت بتحضرنا وتعطيل حركة التاريخ بالمجتمع العربي المعاصر، كان لها التأثير الحقيقي على شّل مختلف مظاهر الحياة.

ج/عبد الله شريط والإسلام الثوري:

أما الميدان السياسي فلا يقل أهمية حين نستقرئ التاريخ السياسي، انطلاقا من التراث التقليدي الذي نملكه، ومحاولة بناء نظام سياسي تحكمه المبادئ السامية القائمة على القيم والعدل والمساواة، لأن نظرية السلطة في الإسلام قائمة على الربط المحكم بين السياسة والأخلاق، أو الجمع بين النقل والعقل، فلا يحق للحاكم أن ينال من حرية الأفراد، واعتبار الشورى مبدأ شرعيا في ممارسة السياسة، وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم والسنة النبوية فقد جاءت بالأمر الملزم في قوله تعالى:(وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ)[12].

وبصفة الوصف في قوله تعالى:(وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)[13].وبالفعل فقد عمل الرسول (صلى الله عليه وسلم) بهذا المبدأ وطبقه في حياته وتصرفاته العامة، حيث كان يكثر من استشارة ويشرك أصحابه في مختلف المسائل السياسية والاجتماعية والاقتصادية وشؤون الحرب.

ولذلك نجد المفكر(محمد عابد الجابري 1936 م/2010م) يرى" أن الدين يمثل ما هو ثابت ومطلق ، أما السياسة فتقوم حيث يوجد الاختلاف"[14]، فإذا أردنا الوقوف على حقيقة المشروع السياسي، انطلاقا من العقيدة الإسلامية القائمة على التوحيد ورفض العنف والجور،وإبعاد الوسائل اللاأخلاقية واستغلال الأفراد، فإن الإسلام نظر إلى الحياة السياسية نظرة روحية، تقوم على نشر الفضيلة والخير، والتعاون والاحترام المتبادل بين الحاكم والمحكومين، وحارب أشكال القوة والاستبداد، أي الارتقاء

بالإنسان في أسمى معانيه، وقد كانت نظرة (شريط) لهذه المسالة منسجمة ومطابقة للأهداف، التي رسمها الإسلام في تنظيم المجتمع، وفق قواعد سياسية عادلة، حيث لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى.

فالرابطة التي تجمع الأفراد في الوطن الإسلامي معنوية لا دموية، و ثورة الإسلام كانت واضحة وشاملة، خصت مختلف المجالات الاجتماعية و الاقتصادية، وفسح المجال أمام الأفراد للتعبير عن طموحهم السياسي، ونشر الخير والطمأنينة بين الأفراد، والتحريض على البناء ومقاومة الظلم والفساد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. "فشريط ينظر لهذه المسألة من منظور معاصر لا كلاسيكي، أي الإسلام الثوري الذي جاء بالقيم والمثل"[15]، الذييعمل على تحرير الإنسان من مظاهر التسلط والاستبداد، لأن بعثة الرسول (صلى الله عليه وسلم) كانت نقطة تحول في تاريخ العرب، حين تَحَوَّل المجتمع من الحياة الفوضوية، التي يأكل القوي الضعيف فيها إلى مجتمع متراحم متآخ تسوده المحبة وقيم الخير والتسامح.

يتبين لنا أن(شريط) ينظر لمسالة السلطة بنظرة أكثر شمولية واعتدال، حيث كانت حياة العرب قبل مجيء الرسول (صلى الله عليه وسلم) بسيطة وخالية من التعقيد، كان التنظيم السياسي يتمثل في بعض الأحكام العشائرية القبلية أو الخضوع لسيد القبيلة.

في حين نجد أن مرحلة الإسلام كانت نقطة تحول في المجتمع العربي، في تخلصه من مرحلة البداوة إلى مرحلة أكثر تحضرا و تقدما. وقد شكّل الحكم الشوري خطوة ضرورية لتأسيس مجتمع حقيقي داخل الحضارة الإنسانية من بابها الواسع. وفي هذا يقول (شريط) :" والفكر الثوري في كل هذه الثورات، هو أخلاق ملتزمة تسيطر على الذاتية وترتفع عنها"[16]، رغم توفر تراث اجتماعي، يتمثل في جملة من المبادئ والقيم، التي لم ترق من الوجهة الفلسفية إلى المستوى الايجابي، والأرقى لتأسيس فكر سياسي يستمد منه المجتمع مرجعيته الدستورية، والمؤسسات والنظم السياسية التي تجعله يتطورسياسيا، ويصل إلى التنظيم السياسي المحكم المعروف عند الحضارات الغابرة كاليونان والرومان.

لكن الثورة السياسية والتنظيمية كانت كافية لجعله حكما سياسيا، يعبر عن الإرادة الجماعية، لأن مفهوم الديمقراطية وممارسة السلطة بطريقة عادلة ونزيهة كامنة في نظام المدينة (دولة المدينة) عند اليونان، " كان الأفراد يجتمعون ويناقشون قضايا الحكم بطريقة مباشرة "[17]،غير أن الفيلسوف الألماني هيجل قد عبّر عن فكرة التنظيم السياسي، ومدى مطابقته لحياة الأفراد، والذي يعبر عن روح الأمة ومقوماتها "إن الدولة هي الروح التي تصمد في العالم وتحقق ذاتها بوعي"[18]، لكن (شريط) يستقرئ تاريخنا السياسي، ويرى أن (ابن خلدون) مثل جهدا فكريا يستحق التقدير في هذا المجال،لكن يجب الانتباه إلى مسالة أخرى تتعلق (بابن خلدون)الذي انحصر مجهوده في التحليل والبحث العلمي الموضوعي المتميزان، حيث فسر (ابن خلدون) هذا النقص ورده إلى التقصير الذي نعانيه، وعدم الجدية والبحث في معالجة القضايا والميل إلى الحلول السهلة، فصلاحية المجتمع وتحضره سياسيا يعود في أصله إلى القوانين التي تحكمه سياسيا والتي بدورها تعكس واقعا سياسيا عادلا، وتكون الحكومة انعكاسا للمجتمع وليس العكس، ويمكن لنا أن نستمد أصول الحكم السياسي من الفلسفة الإسلامية.

2/ الخطاب الحداثي عند عبد الله شريط:

إذا انطلقنا من مفهوم الحداثة انطلاقا من محاولة ضبط المفاهيم وتحديد مدلولاتها وبعدها الاجتماعي والأخلاقي في حياة الشعوب، فقد أصبحت قضية الحداثة والتنوير من القضايا الجوهرية في الفكر الإنساني، فحسب المفكر المغربي (محمد عابد

الجابري 2010/1936 م) أن المشروع النهضوي لم يكتمل بعد حيث يقول:" فعندما يتحدث العرب عن النهضة أو الثورة فإنما يتحدثون عن مشروع لم يتحقق بعد ، بل يجب القول: عن مشروع لم يكتمل بعد حتى على صعيد التصور الذهني"[19]

نستنتج أن(شريط) حاول تحديد ورسم طريقة التفكير والعلم، والكشف عن الأسباب الواقعية والابتعاد عن الأفكار الميتافيزيقية المجردة، وحسب تصورنا فالمجتمع الأوربيعرف هذه الثورة الفكرية والعلمية، التي انبثقت عن الثورة الصناعية و ترجيح العمل، أي التطبيق والممارسة العملية على النظر الفكري. وإن أردنا مسايرة هذا الفيلسوف وتعليل هذا التخلف في مجال التنظيم والتفكير، فإن (شريط) ينظر لهذه الفكرة من منظورأخر، يبدو واضحا من خلال معايشته لهذا الوضع، في إصدار الأحكام والقرارات دون معرفة والبحث في الأسباب التاريخية، أوالاجتماعية أوالطبيعيةالتي جعلتها تتصرف في حياتنا الخاصة والعامة، مقتنعين بأسلوب الوعظ والإرشاد. وفي هذا يقول(شريط) :" أن ضرورة خلق فكر سياسي اجتماعي متدعم بفكر علمي، يضع أيدينا على أهمية مفهوم جديد للثقافة، والدعامات التي تتركز عليها الثقافة تكمن فيما يلي: أن تكون ثقافة وطنية ثورية وعلمية"[20]، هي قواعد نظرية نستمد منها معقولية تفكيرنا وتنظيم حياتنا الاجتماعية.

فالذي يتوجه إلي الشعب يكون متشبعا بهذا الحكم والشعور بالمسؤولية، قبل أن يخاطب به الناس لتوجيههم وتهذيب سلوكهم فقد ثبت مثلا عند الأنبياء والمصلحين، أن الأوامر التي يصدرونها كانت تتميز بالطابع الإلزامي والعمل بها، لأنهم يعتمدون في تربية الناس على غرس القيم والتحلي بها، غير أن التحول الذي حدث لحركة الإصلاح والنبوة أفقدها وظيفتها، ويظهر ذلك في التناقض بين القول والفعل،حين بدأ العمل بالتحليل العلمي الموصل والمؤدي إلى النتائج العلمية في البلدان المتحضرة، وهذا ما شجع هذه الدول العلمانية على اختزال الوعظ والإرشاد في الكنيسة، وتفسير الواقع وفق منطق علمي تجريبي يجد الأسباب الفاعلة والمحيطة بالظواهر المدروسة.

أ/عبد الله شريط وتفعيل الخطاب الحداثي:

ما يؤاخذه(شريط) على هذه البلدان المتخلفة هو انغلاقها على نفسها، وعدم التسلح بمنطق العلم والعمل، والركون إلي الأساليب البالية المتحجرة، كوننا انتصرنا على الاستعمار الفرنسي عسكريا،لكننا مازلنا مقيدين ونعيش هذه التبعية الفكرية والثقافية، بخلاف الشعوب الأخرى، كالشعب الفيتنامي مثلا، فالثورة الشعبية كانت شاملة، لأن انتصار الثورة الروسية على النظام القيصري، لم تكن معزولة عن بعدها الفكري والثقافي، وفي نظر(شريط)فهذه المسألة مرتبطة بنضج هذا المجتمع وخصوبة ثقافته، التي يستمد منها الحلول الناجحة والعودة إلي التراث الأصيل،فيمكن لنا بعث هذه المعركة الثوريةوإحداث البناء وفق أسلوب حضاري يتماشى وروح العصر، فالخضوع لهذه التبعية المفروضة حسب اعتقادنا يعود لأسباب أخلاقية، كالشعور بالنقص أمام الغير، وضعف الوازع الوطني والديني الذي جعلنا نعيش هذا الغزو التغريبي الجديد.

فهل يحق القول أننا حققنا هذا الانتصار وربحنا المعركة بعد الاستقلال؟ أمام تعثرنا في تحقيق هذا التفوق الاقتصادي والثقافي، ونتخلص من سيطرة الأجنبي، ولذلك يقول (محمد أركون) :" فالمسألة ليست مسألة عواطف وانفعالات ذاتية وشعارات ايديولوجية أو تبجيلية، إنما هي مسألة بحث علمي أو ارتفاع إلى مستوى البحث العلمي"[21].

لأننا جنينا تخلفا موروثاغزا عقولنا وطمس شخصيتنا ولغتنا، لتتحول أرضنا سوقا لمنتجات الاستعمار على حساب منتجاتنا الوطنية، وقد كان (شريط) واعيا بهذه المسألة، حين كانت المقارنة أو الموازنة بين الاستعمار العسكري وتأثيرهالقوي في حياة هذه الشعوب المقهورة والمغلوبة على أمرهاوتفقد توازنها التنموي، وتعاني جبروت هذا الاستعمار من جديد،نتيجة الإرث الفكري و الإداري في تنظيم شؤون الحياة. لأننا لم نستطع التخلص من طبيعة هذا الاستعمار الإداري، و مقاومة لغة المستعمر التي فصلت النخبة المثقفة عن الشعب.

ب/ مشكلة التنمية في الوطن العربي:

حاول (شريط) تشخيص هذا التخلف التاريخي الذي أثر على نهضتنا الفكرية و الثقافية، وقد أرجع ذلك إلى الفراغ الفكري الذي نعيشه، لأننا لم نكن مهيئين لتقبل هذه الأنظمة الجديدة، وذلك راجع لقلة الوسائل التي تمكننا من التصدي لهذه السيطرة المفروضة، ويحاول من جهة أخرى أن يبرهن بأدلة مستقرأة من التاريخ القديم والحديث،كالتأثير الفارسي على الحضارة العباسية أو التأثير الفرنسي على شعوب المغرب العربي الكبير، و يعد (شريط) من المهتمين البارزين في تعليل الدوافع التاريخية، التي جعلتنا نتألم تحت وطأة الاستغراب،كوننا لم نتحرر ثقافيا و مازلنا مقيدين اجتماعيا و سياسيا، غير أننا اصطدمنا عند تطبيقها في نظامنا و تصرفاتنا، و لم تكن كعبارات و حروف تكتب و تقرأ فقط.

فهذه الفواصل الفكرية مزقت و حدة هذه المجتمعات و مشروعها الحضاري، و عزل المثقف عن شعبه ووطنه. وفي هذا يقول المفكر (محمد أركون) :" أن المجتمعات الإسلامية أو العربية لن تسمح بظهور هذه الفئة المثقفة التي تصنع و تشكل الهيبة الثقافية أو السيادة الفكرية العليا"[22]، فهذه الظاهرة السلبية المتمثلة في انهيار و إفلاس المجتمعات العربية، "كون اللغة أصبحت ميتة وخاوية من محتواها الفكري، وعدم النظر إليها كأداة تواصل وتحضر"[23]. فقد كانت لغة أروستقراطية كسولة و رجعية يعيش أصحابها منعزلين عن شعبهم في الجزائر مثلا، كلغة أجنبية و دخيلة عن الشعب شكلا و مضمونا.

فكم بات ضروريا و لزاما علينا نحن العرب تبني هذا الموقف، لأن التفكير الثوري الصحيح الذي يستجيب لحاجياتنا، ويضمن بقاءنا هو المستمد من خصوبة فكرنا و لغتنا. لأننا ساهمنا بشكل غير مباشر في هذا التراجع في شتى الميادين.

وفي تصورنا أن هذه العزلة التي كادت أن تجرف بهذه الشعوب، كانت نتيجة الأنظمة التي لم تشرك شعوبها في رسم هذا التقدم، وتخلّت عن الشعب و جعله هو المنتج والمتصرف،ولا تكتفي بالصدفة أو التخطيط العشوائي(العفوي)، الذي لا تحكمه المعايير والشروط العلمية الواقعية.

لأن قطار التنمية في المجتمع ظل معطلا، فكيف يمكن حسب (شريط) دفع هذه الشعوب إلى إحداث هذه التغييرات الجذرية،و الدخول في معركة الحرية والشعور بالمسؤولية تجاه حاضرنا و مستقبلنا البعيد، والنظر إلى الإنسان باعتباره الدعامة و الركيزةومناهضة هذه الفوارق المصطنعة، التي وسّعت الهوة بين الإطارات المثقفة المحظوظة، و إبقاء الشعب متسولا في حاجة إلى مساعدة. و ما يمكن استنباطه من خلال طرحنا لهذه الأفكار التي انعكست فعلا على قناعاتنا النظرية، وأعمالنا و الاسترشاد بهذه الأفكار الخصبة، التي تنير لنا دائرة التحضر وفق إمكانياتنا المادية و طاقاتنا البشرية الهائلة التي ظلت مهمشة. وفي هذا يقول (شريط): "عندما شرع المجتمع الجزائري في تبني الاشتراكية كإيديولوجية في المجال الزراعي والصناعي"[24].

ج/ مشكلة التعريب في الجزائر:

إن الضعف الذي أصاب اللغة على المستوى الداخلي، حيث يكون على مستوى الشعب أو العالمي في مسايرة روح العصر و تطلعاته، بأن تكون لغة علم و بحث،لا أن نجعل منها لغة خطابات جوفاء في القيام بهذا و الامتناع عن ذاك. لأن صناعة لغة و تشكيلها أو بعثها من العدم، ليس سهلا و لا يتأتى لأي شعب، ولا تكون اختيارا مجانيا بل مشروطة بقدرة الإنسان و نضجه الفكري والعلمي.

وفي الحقيقة هذه مسألة في غاية الخطورة يجب الانتباه إليها، وإعطائها العناية أكثر من غيرها، و قد شدّد المفكر العربي اليمني(ساطع الحصري1967/1879م) على أهمية اللغة في خلق هذه الوحدة بين أفراد الأمة الواحدة حيث يقول: "إن اللغة، أهم الروابط المعنوية التي تربط الفرد البشري بغيره من الناس،لأنها أولا، واسطة التفاهم بين الناس،و ثانيا آلة التفكير عند الفرد، و ثالثا في نقل الأفكار و المكتسبات من الآباء إلى الأبناء، و من الأسلاف إلى الأخلاف، لأن وحدة اللغة توجد نوعا من الوحدة و تكون أقوى الروابط التي تربط الأفراد بالمجتمعات...يتقاربون و يتماثلون و يتعاطفون أكثر من غيرهم"[25].

والموقف المناهض للتعريب في الجزائر له مبررات غير كافية، لأنهم نظروا لهذا الموضوع من زاوية واحدة، كونهم يلومون المثقفين بالعربية، و ينسون أنفسهم. لأن نظرة المفكر (عبد الله شريط) مستوحاة من الواقع البائس،الذي تعيشه اللغة العربية والضغوطات الخارجية التي يفرضها الاستعمار الأجنبي منذ سنوات، ذلك أن التقصير، لم يكن من جهة المعربين فقط، بل حتى من جانب المفرنسين، فالتسيير الإداري و التربوي يخضع للنمط الفرنسي،فأي تطورأوإصلاح ظهرعلى أيدي المثقفين المفرنسين، لأنهم لم يكونوا على إطلاع واسع بطموح شعبهم و النزول عند مطالبه و إعطائها الأهمية، فمفاهيم المتشبعين بها لا تتلاءم و الثقافة الجزائرية، فليس دوما قد تصلح هذه المفاهيم الغربية لمثل هذه الشعوب، فالثورة المناهضة التي حملها الروس و الصينيون مثلا كانت شاملة، لأنها كانت منطلقة من ثقافة اجتماعية راسخة و لم تكن مفروضة. و هذا النجاح لهذه الحركات الثورية، كان نقطة تحول و انقلابا و قطيعة ابستمولوجية، حاولت التخلص من العوائق و الرواسب الموروثة التي عكّرت صفو حياة هذه المجتمعات المتطلعة للحرية، و معالجة القضايا الشائكة و المعقدة، ومن أهمها القضاء على الصراع اللغوي الداخلي،الذي يفتت و يمزق هذه الأمم.

يتضح لنا أنشريط كانت له نظرة ثاقبة و موضوعية، تجاه من يتبجح باللغة الفرنسية و يتناسى جزائريته، وضرورة النزول إلى مستوى الشعب، لدراسة هذه الوضعية القاسية التي يعيشها الفرد داخل هذه المعادلة المركبة. و قد عبر الأنتروبولوجي الأمريكي(رالف لنتون1953/1893م) عن تأثير الثقافة في تكوين الشخصية حيث يقول: "الثقافة بإمكانها أن تجبر الفرد الشاذ على قبول أشكال من السلوك التي ينفر منها، لكن عندما ينفر هذا السلوك من المجتمع كله، فإن على الثقافة أن تطيع"[26].فمهمة النخبة المثقفة هو أخذ المعركة والتخلص من النقل، والعمل على الانفتاح على بقية الثقافات الأخرى.

فحسب (شريط) "أن المفارقة العجيبة التي يعيشها مثقفونا ليست انطباعا حسيا أو إدراكا مباشرا"[27]، لأن مناقشة مشكلة التعريب ليست سهلة،ولا يتبادر لنا حلها في تمتين الصلة بيننا و بين المشرق مثلا، بل صلتنا بالوطن و بالشعب تكون أعمق، لأن أطروحة المفرنسين تبدوغريبة ونوعا من التعصب، وأطروحة المعربين التي تنظر لهذا الإصلاح نوعا من التهور.

فتحليلنا الموضوعي لهذا الجدل العقيم، يوحي بأن كلا الموقفين لا يعير أي اهتمام لمعادلة الشعب، لأن الوطنية ليست شعارا نزين به مؤسساتنا، بل فلسفة ثائرة على الأفكار الدخيلة على معتقداتنا و ثقافتنا، يكون التخوف والتهرب من التغيير عائقا حضاريا لتنوير أفراد الشعب، وغرس القيم المثالية، رغم أننا مازلنا لم نشعر بحلاوة هذه الوطنية و نتذوقها، و نعتبرها القلب النابض في عروقنا، تحيلنا إلى البحث عن البدائل، والاعتماد على المنهج العلمي الذي يتطابق ووضعنا الحقيقي، وقد خلص (شريط) إلى موقف يعبر عن الروح الفلسفية، التي تقف على صخرة النقد وترفض الاستسلام والتقليد والإيمان بالنسبية، لأن المشروع الفكري والثقافي للمجتمع الجزائري يتحقق وفق مراحل، ولا يكون عطاء أوهدية من الثقافات الأجنبية، لأن معركة الحرية و العمل جعلتنا نبحث عن التغيير، والتجديد لا الركون إلى رواسب الماضي، وإن أهمية اللغة في بناء صرح هذه الحضارة فّعالة وإيجابية، ولذلك يقول (شريط):" فتطور اللغة لا ينفصل عن قواعدها "[28].

لذا استطاع (شريط) أن يضعنا في الإطار الصحيح الذي يبعدنا من التأملات الفلسفية المثالية، أو الاعتماد على طريقة الوعظ و الإرشاد، بل تحليل المفاهيم والأفكار وعدم الاكتفاء بسلطة الأوامر والنواهي، "لأن المستجدات والثورات الحاصلةفيحياتنا الاجتماعية، تفرض علينا التسلح بمنطق التفكير، والعمل و الربط بين قناعاتنا و أعمالنا وهي خطوة لمسايرة طموح شعبنا، والإجابة عن حيرته ودهشته في الحياة"[29].

د/ عبد الله شريط والتنظير للمجتمع الجزائري:

إذا انطلقنا من المفهوم الشرعي،فالنظام السياسي هو الفرع و المجتمع هو الأصل، حيث لا يمكن أن تنبت الشجرة دون جذور، فإشكالية إصلاح المجتمع نسبية و قائمة وتتطلب جهدا فكريا متواصلا، والمشروع السياسي لا يتحقق بصورة عشوائية، بل يتأسس وفق تنظير سياسي بعيد الأفق، ويكون مطابقا للأهداف التي يطمح إليها الأفراد. فلا يمكن تغيير أوضاع المجتمع، إذا لم يعملوا جاهدين على تجاوز ذلك لقوله تعالى:"إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ"[30].

وهنا يظهر موقف (شريط) في تكييف الحكم السياسي الذي يستجيب لواقع الأفراد، و الوصول بهم إلى مرحلة أكثر انفتاحا وتسامحا، لأن التناقضات التي عصفت بمجتمعاتنا العربية، جعلتها تعيش هذه الأزمة السياسية وهذا الفقر في الميدان السياسي، والذي لا يثير اهتمامنا واستنكارنا، حتى أصبحنا نتقبل هذا الوضع و كأنه طبيعي، حتى أن السياسة التي تحكم الأفراد وتوجه سلوكهم قائمة على التناحر و الصراع، كل يريد أن يناصر فكرة سياسة معينة، لأن التأخر السياسي الذي يعانيه المجتمع العربي تجلت بصورة واضحة. والذي حاول (شريط) تشخيص الأسباب والدوافع التي جعلتنا نتراجع سياسيا، ونعيش نوعا من الضعف السياسي وغياب المعايير، التي تحكمنا وتوجه حكامنا.

وقد أظهر(شريط) هذا التناقض الفكريالذي اختزله في المستوى الإنساني، كالعناية الشعبوية بالحكام من حيث الصلاح و الفساد، والعناية التي لا تقل سذاجة من طرف الحكام بخدمة الأرض والجرار والآلة، وقد تصدى لهذه الظاهرة بسلاح الفكر لا العمل والتسرع في إصدار القرارات، لأن الأزمة أزمة إنسان بالدرجة الأولى، فلا يمكن أن يزدهر المشروع السياسي في ظل غياب المثقف، أي رجل الفكر، لأن الكارثة الحقيقية تكمن في تهميش المفكر وعدم مساهمته في تفعيل هذا المجال السياسي، الذي لا يتجزأ من حضارة الأمة ومسيرتها الحضارية.

هـ/ عبد الله شريط ومسألة الثقافة:

أما إذا أردنا الوقوف على حقيقة ما يجري على المستوى الثقافي أو مناقشة تراثنا الثقافي والذي يعتبر من المكونات الحضارية للأمة، فان الإنتاج الثقافي، يبدو لنا فقيرا من حيث البحوث الاجتماعية العلمية، "والمجهود الفكري الثقافي ينصب على البحوث الأدبية والفلسفية أواللغوية وغياب البحوث العلمية"[31]، و في تراثنا ما يؤكد ذلك، حين خصص الرئيس الشيخ (ابن سينا1037/980م) في كتابه الشفاء 450 صفحة في شؤون ما بعد الطبيعة، فإن غياب مثل هذه الأعمال الفكرية في دراسة الظواهر الاجتماعية قد انعكس على المشروع الثقافي، حين اتجه مثقفونا إلى الاشتغال بالطابع الفكري المجرد، الذي لا يعطي أهمية إلى المنهج العلمي، واتخاذ موقف موضوعي يقترب من الحقيقة العلمية والالتزام بالحياد، وعدم الخوض في القضايا التي أفرزها الواقع الاجتماعي، وقد عبّر(نيتشه1900/1844م) عن أصحابه بمن يحمل في عروقه دم الضفادع. و هذه الفكرة لها مبرراتها من الوجهة الفكرية أو العلمية، فالثورة أو الانقلاب الذي أحدثه في تاريخ الفكر الفلسفي، لم يكن صدفة، بل تحكمه ظروف فكرية ومحيط ثقافي خصب.

أما الاتجاه الذي غيَّب العلم وانشغل بالقضايا الأدبية والتوسع في دائرة المدح والهجاء، فقد كانت نظرة (شريط) لهذا الطرح في تراثنا الثقافي واضحة وبالخصوص، حين ركز الحديث على ذكر بعض المحاولات في الإنتاج الثقافي وإعطاء الأهمية لقضايا المجتمع، وقد حاول بعض مفكري العرب خوض معركة الفكر الديني، عندما تهجموا على الدين وانتقدوا المسائل التي كانت توقيفية كتحطيم فكرة الجنة والنار والروح... رغم أن فلسفة القرآن الكريم جاءت واضحة في إبراز مدى قصور العقل في إدراك القضايا الغيبية، وأنتجت انحرافات ومزالق فكرية خطيرة، فحسب فهمنا لجملة المسائل الدينية التي تنبئ بأهمية الدين في واقعنا الثقافي، والاقتراب من تحطيم هذا الوثن الذي كان عائقا أمام العقل.

لمناقشة هذه الإشكاليات المعقدة واستخدام المنطق والكشف عن القصور، والعجز الفكري في طرح المستجدات الحاصلة في المجتمع وانهيار ليونة الفكر الديني، أمام هذه التغيرات وربطها بالمفاهيم الدينية، لإخراج الدين من التقليد الأعمى. لأن عملية النقد تكاد تكون غائبة، "يجب التسلح بمنطق النقد وعدم الاستسلام، أي التقليد الذي نعانيه، وقد خيم على أفكارنا وتطلعاتنا المستقبلية، فلا يكون على حساب مقوماتنا الشخصية "[32]، لأن الدين جاء بشمولية في طرح القضايا الاجتماعية، ومعالجتها وفق المعطيات الدينية الروحية،التي تؤدي وظيفتها التربوية والحضارية في عصرنا الحديث.

ويمكن أن نكتشف مدى أهمية المفاهيم الدينية وإبراز الطابع العقلاني لهذا المشروع الديني، الذي يعكس مدى التكامل بين النقل والعقل في منهج أصول الفقه، واستنباط الأحكام الشرعية من أدلتها الكلية والجزئية، لتحقيق هذا الإدراك العلمي للقضايا التي تحدث في المجتمع على مستويات عدة، وعدم الانغلاق والتزمت تجاه مفاهيم معينة."لأن ترك القضايا الاجتماعية الكبرى التي يعيشها المجتمع الغربي في حياته اليومية والسياسية والاجتماعية عموما"[33].

ما يمكن أن نستخلصه من هذه العبارة هو المبالغة في طرح المسائل الميتافيزيقية الغيبية، وإقصاء العقل أو المنهج العلمي من تفسير وتحليل مشكلات المجتمع، وهنا نجد (شريط) قد وضعنا في صلب المشكلة ومحاولة اقتحامها، والابتعاد عن المفارقات العجيبة

التي تجعل الهوة شاسعة بين إنتاجنا الثقافي، واحتواء الواقع بكيفية دقيقة ومعمقة، وإبعاد كل ما هو مثالي ميتافيزيقي عقيم، فلا يمكن أن نجعل مثلا من المآذن مصانع للمسلمين، دون النظر إلى أن الاستعمار الفرنسي جعل أسماء القديسين تملأ شوارعه في باريس، فمثل هذه الأفكار لا تخدم مجتمعنا في شيء.

فلا بد أن تكون هنا نظرة صحيحة للواقع متشبعة بالمفاهيم العلمية، ومدروسة وفق نسق ثقافي اجتماعي. وافتقارنا لمثل هذه الإنتاجات الثقافية التي تتضمن أبحاثا اجتماعية في مجالات شتى، والتي تخدم المجتمع وتجعل المثقف عنصرا فعّالا بين أفراد مجتمعه. فمثل هذه الدراسات الميدانية، التي تقف وراء المجتمع، كانت نقطة تحول في تجسيد مكانة العلم، والابتعاد عن كل ما هو صوري وهمي، والتفوق لم يكن في الآلات وتوظيف التكنولوجيا،بل بالتنظيم الفكري لشؤون المجتمع والعلوم الإنسانية، فحسب(شريط) أن مظاهر الزيف كامنة عندنا في ظهور الموقف الذي يدعو لاستخدام العلم والاستعانة بالعلوم التقنية، لأن العصر يتطلب الفهم العلمي والصناعة، أي ظهور ثقافة علمية، أما العلوم الإنسانية والفلسفة فأصبحت من الأفكار والعلوم التي تحظى باهتمام كبير واعتبارها عامل بناء وتقدم.

و/ الإنسان والمشروع الحداثي:

يرى (عبد الله شريط) أن الانبهار بالعلوم الصناعية والتخلي عن العلوم الإنسانية، مسألة في غاية الخطورة. وما يلاحظ في الجزائر أن التوجه نحو العلوم والصناعة، لم يكن اختيارا أو قناعة اجتماعية، بل يعكس الشعور بالنقص تجاه الغير، لأننا لم نستوعب تراثنا الثقافي الإسلامي، وقد كان يتميز بالخصوبة و الدقة العلمية، حيث لم يكن صناعة تجريدية أو تجربة حسية خالصة.

وتاريخنا العلمي لا يزال شاهدا على مثل هذه المواقف، التي حاولت تخليص العقلانية الإسلامية من طابعها النظري، والتوجه إلى العمل التجريبي وفق منطلقات روحية دينية، ونجد العالم التجريبي الإسلامي (الحسن بن الهيثم1040/965م) في كتابه المناظر أشار إلى خطوات البحث العلمي بكل دقة ووضوح حيث يقول:"ونبتدئ في البحث بالاستقراء، استقراء الموجودات أو تصفح أحوال المبصرات وتمييز خواص الجزئيات... ونتحرى سائر ما نميزه طلبا للحق لا ميلا مع الآراء". فقد استطاع (ابن الهيثم) أن يكون رائدا في علم البصريات دون منازع، حتى أن الجامعات الغربية تعترف بهذا الابتكار،وحتى الطبيب والمستشرق الألماني(ماكسما يرهوف1945/1874م) عبّر عن ذلك في قوله:"إن عظمة الفكر الإسلامي تكمن في البصريات".

لذا نجد (شريط) قد علّل الخلل في الاهتمام بالعلم الطبيعي، الذي يكون كأداة تقدم وازدهار للمجتمع، وإقصاء الدراسات الإنسانية في المجال النفسي و الاجتماعي، وإن كان تقدمنا في الصناعة الخفيفة و الثقيلة يبدو واضحا، وإنشاء الجامعات و المعاهد التكنولوجية، غير أن تخلفنا الثقافي يعكس مدى إهمالنا للإنسان كإنسان، لذا يقول (شريط) :" فينبغي الاهتمام بتكوين الإنسان، وعدم كنز الثروة في البنوك"[34]، وهذا بدوره يبرز لنا أهمية الإنسان في معادلة التنمية."لأن نجاح الدول المتقدمة في الصناعة مثلا، لم يكن على حساب الثقافة الأدبية والاجتماعية"[35]، فلا يمكن أن يحدث التقدم العلمي دون مراعاة المحيط الثقافي المتشعب، فإذا حاولنا استقراء واقعنا الاجتماعي والثقافي و ما يحمله من قيم ومعاني التحضر والتقدم، فإننا نكون بحاجة إلى ضرورة الجمع بينهما وإزالة هذه الفوارق.

فانتشار الجرائم والانحلال الأخلاقي، وتفكك الروابط الأسرية، وما نعيشه من أزمة اقتصادية خانقة يعثر المشروع في بلدنا. ومحاولة نشر مفاهيم ثقافية وإعطائها الأهمية اللازمة ستعكس مدى مساهمة التقدم العلمي على السلوك الاجتماعي والفردي، وتأثير الأحوال المادية والمعنوية على حياة المجتمع، وإعطاء الأهمية للمناهج في الميادين الاجتماعية وفق مفاهيم علمية.

3/العوائق الإبستمولوجية المطروحة على مستوى الموضوع والمنهج في العلوم الإنسانية و الاجتماعية:

فإتباع مناهج عقيمة والميل إلى الآراء الشخصية،يعتبر عائقا أمام هذه الدراسات الاجتماعية،لأن العلوم الإنسانية تعاني من الذاتية كون موضوعها يتعلق بالإنسان فكيف يتحول إلى دارس ومدروس؟. لكن ورغم هذه العوائق الابستمولوجية فقد تطور البحث في مجال الإنسان ووقف على الأسباب الفاعلة التي تتحكم في السلوك الاجتماعي، فرقي المجتمع يعد بمثابة الصورة التي تعبر عن التطابق بين ما هو نظري وعملي، أي عدم الفصل بين الثقافة النظرية والثقافة العلمية.

فالشعوب المتطورة أصبحت تُحكّم المنطق الصوري والعلمي في سلوكها العملي، وانجاز نظريات علمية في مجالات مختلفة، والتقيد بكل مقومات الإنسان المتفتح لا المنغلق، وعدم التزييف والابتعاد عن الواقع الاجتماعي. "واتساع دائرة العلم التقني سيكون له انعكاسات ايجابية على فكر وثقافة المجتمع"[36]، والتي تنتج إنسانا منتجا لا متخلفا يعيش الركود العلمي والثقافي. لأن الثقافة العالمية أصبحت ذات صبغة علمية، وهذا ما يجعل التفكير المجرد لا يساير هذا الواقع المتجدد،الذي يفرض نفسه علينا بتقلبات واضطرابات كونية ومعاناة نفسية واجتماعية، لا تجعل هذا المجتمع يحقق هذا التوازن في مختلف الأنشطة المختلفة. فانشغال بعض مثقفينا بالفكر الديني وعدم التزود بالثقافة العلمية والاجتماعية الحديثة، سيجعل رجل الدين لا يعيش ظروف مجتمعه، ولا يرتقي ببحثه إلى إعطاء الحلول التي تكون بمثابة الإطار المعنوي، الذي يجنب المجتمع هذه الرذائل، لأن الانحرافات الاجتماعية والأخلاقية ليست مسائل علمية تقنية، وإنما ذات طبيعة معنوية إنسانية.

فارتباط الثقافات المتخلفة بغيرها من الثقافات المتقدمة، جعلها تعيش هذه التبعية وهذا التأخر، أوهذا الزيف أي المغالطة وعدم إبداعها وإدراكها لمواطن الصواب والخطأ التي تجعل هذا المجتمع أو ذاك يعرف ثورة ثقافية متطلعة للخروج من الأزمة. وإذا أردنا أن نتساءل عن المحتوى الثقافي، فالسؤال وجيه وقد يطرحه أي باحث في ثقافة مجتمعه، أين هي الحقيقة وأين هذا الزيف في المنتوج الثقافي؟ الإجابة كامنة في المنتوج الثقافي الذي نملكه، والذي يتشكل من القيم المعنوية والمادية، مما جعل بعض المفكرين في حاجة إلى إحداث انقلاب ثقافي وحركية أوعقلانية جد متفتحة،أو جيل جديد في المشرق والمغرب العربي، حيث بدأت تظهر بعض المحاولات هنا وهناك، لإبراز عظمة هذا الفكر البنّاء الذي سطع نوره بعد انتشار موجة الاستعمار، وتخليص هذا البناء الثقافي من الرواسب الفكرية الماضية.

لأن فلسفة (شريط) وموقفه الواضح من نقده للمثقفين العرب وابتعادهم عن المجتمع، لم يكن تقليلا أو حطا من قيمتهم ودورهم، بل قصد تفسير العوائق التي تجعلهم عاجزين عن الاجتهاد والتعبير، وأهمية النقد تكون أداة بناء لا هدم، والتعويل على النفس، كوننا تجاوزنا فكرة الاعتماد على الغير، والنقل الآلي لمفاهيمهم ومناهجهم ومحاولة إلصاقها بواقعنا. وثراء ثقافتنا وعمقها التاريخي مازال يحتفظ بأصالته وخصوبته، فمهما تجاوزته الأحداث فما زال يحتفظ برصيد هائل من القيم والعادات والتقاليد، والفنون والآداب التي ظلت مخزونة كثروتنا البترولية.

ومن هذا المنطلق لا يعارض (شريط) إمكانية التهذيب والتحسين، حين ربطها بأبناء الأمة العربية وضرورة العمل والتفكير في النهوض بالثقافة العربية، رغم توفر الطاقات البشرية والمادية الهائلة، لأننا نعاني الاستلاب المادي والفكري، والغزو الثقافي المفروض بشتى الوسائل العلمية، ومن هنا يمكننا حسب (شريط) التتلمذ على يد (ابن خلدون) في بعث روح الثقافة الإسلامية من جديد، قصد مواجهة تحديات العصر والتخلص من دائرة التخلف.

وقد حاول (شريط) تحطيم فكرة الأخلاقية والشمولية، التي كانت ظاهرة في فلسفة الأنساق وتخليص الفلسفة من النسقية الضيّقة، ومحاربة المحاولات التجريدية المبالغة في الماورائيات ، "وما يلاحظ أيضا في فلسفة (شريط) هو الإلمام بالقوانين التي تتحكم في الظواهر"[37]، حين تحرر من سلطة النقل والعادات الفكرية، التي سار عليها أسلافه في الثقافة الاجتماعية، وبالخصوص النسق الأرسطي المعروف بالصناعة المجردة. وقد كانت مساهمة (شريط) في هذا الميدان واعية وثائرة على الوضعية اليائسة، التي تخيم على وضعنا الثقافي وربطه بالمنهج العلمي، مما يؤدي إلى التغلغل والتنقيب داخل المحتوى الاجتماعي، وإذا كانت النظرية الخلدونية أثبتت قدرتها وخصوبتها على دراسة المجتمع وفق المعايير العلمية، بخلاف النظرة الفلسفية عند (الفارابي و ابن رشد) الذي ظل وفيا (لأرسطو)، فإن الحاجة ماسة لمسايرة الثقافات الاجتماعية المعاصرة، ومناهضة الزيف وإبراز الحقيقة، فلا يمكن أن يكون مجتمع دون قوالب فكرية وثقافية.

ومنه يمكن اعتبار (شريط) صاحب مشروع حداثي ونظرية فلسفية ناضجة، ونموذجا بارعا للحركة الحداثية التنويرية، لأنه كان متأثرا بمعاصريه، ويعتبر نفسه سليلا للمصلح الديني والاجتماعي (عبد الحميد بن باديس1889/1940م) والذي يرى فيه" أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قائمة على تغيير الإنسان أولا ، ودفعه إلى مقاومة الاستعمار الفرنسي بعد ذلك"[38]، ومكملا لمشروعه الفكري والاجتماعي،لأن المعركة التي خاضها المجتمع أثناء معركة التحرير ولّدت فيه انفعالا وشحنة قوية، دفعت به إلى خوض معركة البناء والتشييد،وذلك وفق مدرسة فلسفية جزائرية تجيب على كل التساؤلات والإشكالات التي يفرزها الواقع ، والتأسيس لثقافة السلم والحوار بين الحضارات، وتبيئة المفاهيم وفق مشروع حضاري يستجيب لازدهار المجتمع، وتخليصه من مظاهر الاغتراب المعنوي والمادي.

خاتمة:

إن الحداثة التي حدثت في أوربا في القرنين السابع والثامن عشر الميلاديين، كانت بمثابة المنعرج التاريخي الحاسم، كان لها التأثير العظيم على الحضارة الإنسانية العالمية. ومنه نخلص إلى اعتبار المفكر شريط نموذجا في التأسيس للنزعة الحداثية التنويرية والفكر الحداثي، والدعوة إلى حداثة قائمة على تمجيد العقل والتفكير العقلاني النقدي المتحرر من كل تعصب فكري وإيديولوجي، ظهر واضحا في كتابات بعض المفكرين العرب المعاصرين كالجابري وأركون وحسن حنفي وغيرهم كثير، وهو الأساس الذي جعل من العقل سيدا والحرية جوهرا ملازما له، فقد حارب التقليد واجترار الماضي ورفض كل أشكال الانغلاق الثقافي، وتحنيط العقل وجعله عاجزا عن مواكبة تحديات العصر ومشكلاته الراهنة.

فمكانة المفكر تجاوزت حدود وطنه، فلا جدوى من فلسفة تظل متخلفة ومنغلقة على ذاتها، يعني هذا أن فكرة الحداثة والتنوير في الفكر الفلسفي المعاصر تدعو للتسامح والتعايش الحضاري والعمل على التحرر والإنعتاق من كل أشكال الانغلاق الثقافي، فشريط يؤسس لثقافة السلم و التآخي بين الشعوب و الأمم، ونحن اليوم نسمع و نرى المحاولات المتعددة من كافة أصقاع العالم المطالبة بحوار الحضارات و تلاقح الثقافات، فها هو المفكر شريط ينقل الثقافة الوطنية أو الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون ليس فقط للمسلمين و لكن لكافة الشعوب عبر كتابه معركة المفاهيم.

الهوامش:

[1]-محمد حمزة، الإسلام واحدا ومتعددا، إسلام المجددين ، دار الطليعة للطباعة والنشر ورابطة العقلانيين العرب ، بيروت، ط1 ، 2007 ، ص 42.

[2]-عبد الله شريط، المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية،1981، ص 90.

[3]- عبد الله شريط، معركة المفاهيم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1981، ص144.

[4]- محمد أركون، الإسلام ، أوروبا، الغرب: رهانات المعنى وإرادات الهيمنة، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط2 ،2001، ص95.

[5]- عبد الله شريط، معركة المفاهيم مصدر سابق ص146.

[6]- المصدر نفسه، ص14.

[7]- محمد أركون، الإسلام والحداثة، ترجمة هاشم صالح، التبيين العدد 2-3، الجمعية الثقافية الجاحظية الجزائر ،1990 ص 198.

[8]_ عبد الله شريط، معركة المفاهيم، مصدر سابق،ص 147.

[9]- محمد علي كبيسي ، قراءات في الفكر الفلسفي المعاصر، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، ص 212 .

[10]- عبد الله شريط، معركة المفاهيم، مصدر سابق، ص149.

[11]- مالك بن نبي، شروط النهضة ، ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين ،دار الفكر للطباعة والنشر دمشق، 1969، ص 77.

[12]- سورة آل عمران، الآية159.

[13]- سورة الشورى، الآية38.

[14]_ محمد عابد الجابري، نقد العقل العربي 3العقلالسياسيالعربيمحدداتهوتجلياته، مركزدراساتالوحدةالعربية، بيروت، ط3، 1990، ص 32.

[15]- عبد الله شريط، معركة المفاهيم،مصدر سابق، ص150.

[16]-عبد الله شريط ، مع الفكر السياسي والمجهود الإيديولوجي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب 3 شارع زيغود الجزائر، 1986، ص 177.

[17]-المصدر نفسه، ص 62.

[18]- جان بيار لوفيفر وبيار ماشيري، هيجل والمجتمع، ترجمة منصور القاضي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1 ،1993، ص 59.

[19]- محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر دراسة تحليلية نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1986، ص 180.

[20]- عبد الله شريط، مع الفكر السياسي الحديث والمجهود الايديولوجي في الجزائر، مصدر سابق، ص180.

[21]- محمد أركون ، قضايا في نقد العقل الديني كيف نفهم الإسلام اليوم، سلسلة نقد الفكر الديني ، ترجمة هاشم صالح، دار الطليعة بيروت، ط1، 1998، ص307.

[22]- محمد أركون، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ترجمة وتعليق هاشم صالح، لافوميك المؤسسة الوطنية للكتاب 3 شارع زيغود يوسف الجزائر، 1993، ص 129.

[23]- عبد الله شريط ، معركة المفاهيم ، مصدر سابق، ص 135.

[24]- عبد الله شريط، المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية ، مصدر سابق، ص 90.

[25]- ساطع الحصري، محاضرات في نشوء الفكرة القومية، ص13.

[26]- رالف لنتون، الأساس الثقافي للشخصية، ص127.

[27]- عبد الله شريط،معركة المفاهيم، مصدر سابق، ص140.

[28]- عبد الله شريط ، من واقع الثقافة الجزائرية، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 20.

[29]- عبد الله شريط، معركة المفاهيم ، مصدر سابق، ص 152.

[30]- سورة الرعد، الآية 11.

[31]- عبد الله شريط، معركة المفاهيم،مصدر سابق، ص154.

[32]-منصور عفيف ، الحوار الفكري ، مجلة دورية تصدر عن مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية جامعة منتوري قسنطينة ، العدد 9 جوان ،2007، ص 77.

[33]- عبد الله شريط، معركة المفاهيم، مصدر سابق، ص156.

[34]- المصدر نفسه، ص158.

[35]- عبد الله شريط ، المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية ، مصدر سابق، ص105.

[36]- عبد الله شريط، معركة المفاهيم، مصدر سابق، ص159.

[37]- عبد الله شريط ، من واقع الثقافة الجزائرية، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص05 .

[38]- عبد الله شريط، المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية، مصدر سابق ، ص77.